

## إدراك

### سيرين حسنة

الكثير من الأهل والمعارف واقفين حول القبر. أنزلوا الميت إلى القبر وقرؤوا القرآن، دعا الواقفون فرجع هو يديه ودعا معهم للميت. ثم التفت ولم يجد أحد.

قال في نفسه: لماذا ذهبوا بسرعة؟ ماذا بهم؟ تذكر أنه وجد جميع أفراد أسرته فخاف أن تكون عمته المريضة هي المتوفاة.

تلاعبت به أفكاره بان الميت قد لا تكون عمته وقد تكون والدته، فجرى بخوف ودموعه تسبقه. عندما وصل شاهد المنزل مكتظاً بالناس. كان والده جالساً في الغرفة يبكي، ركض إليه يسأله: أبي ماذا بك؟

تجاهله والده، فhez كتفه يسأله من يا أبي؟ من؟ اقتربت أخته حنان تواسي والدها. صرخ فيهما: ماذا جرى؟ هل حدث لوالدتي شيء؟ احتضنت حنان والدها ولم يردا عليه. ركض لغرفته والدته، كانت على فراشها تبتدوا مريضه جداً تبكي.

استيقظ على أصوات أناس. لم يتذكر أين كان قبل قليل. ربما أربكته أحلام اليقظة والسرحان المستمر.

أصوات جموع من الناس تتداخل، تعلو، تقترب لكنه لا يستطيع رؤيتهم... تساءل في نفسه: من أين تأتي هذه الأصوات يا ترى؟

أين سيارتي؟ تلفت يبحث عنها لكنه لم يرها. شاهد مجموعه من الناس تسيير في طرف الشارع، ينادون بكلمات غير مفهومه، إنهم يهللون ويكبرون، إنها جنازة، قالها وهو يسير باتجاههم. سار معهم يهمل ويكبر، دفعه أحدهم بكوعه فالتفت: إنه أخي جلال؟ قال في نفسه.

تنبه بأنه لا يرى بوضوح وتساءل: أين نسي نظاراته الطبية؟

قال وهو يدق بيده على مساعد أخيه: من الميت يا جلال؟

لم يرد جلال، فقرر معرفه الأمر لوحده. تلفت فرأى

خ قاصة من اليمن.

إنها تدعي لشخص ما؟ من هو؟  
من بين دموعها وحشجة الكلمات سمع أسم  
جمال.  
ارتسمت ابتسامة مهزوزة خائفة وهو يحاول التأكد  
مما سمع: جمال من؟  
سألها وهو يقترب: جمال من؟  
فجأة أصبحت الأصوات أوضح، الصور أوضح،  
وضع يده على نظارته. لم تكن في مكانها.  
سمع صوت والدته تبكي في غرفتها والنسوة حولها  
وهي تصيح: ابني جمال لا...  
صرخ بأعلى صوته: أنا هنا يا أمي... أنا هنا...  
سرت قشعريرة في جسده البارد، رفع كفيه، كانا  
شاحبين جداً.  
ركض لغرفته نظراً في المرآة. لم ير شيئاً، سوى  
انعكاس صورة الغرفة خلفه.  
عجز عن تحريك يديه، ثقل التراب فوق جسده  
الجامد، غابت الأصوات واختفت  
الألوان في جيش من الظلام.

هدأ قلبه عندما شاهدها فاقترب و أمسك بيدها  
قائلاً: أمي ماذا جرى؟  
سحبت يدها وغطت بها وجهها وبكت.  
اجتمعت النسوة حولها يهمهن بشيء لم يفهمه،  
لكنه فهم كلمات: أدعي له بالرحمة.  
جن جنونه، حاول تذكر الفرد المفقود في الجنائز  
وهو يهز أمه صارخاً: من مات ما لذي يجري هنا؟  
تجاهلته و انخرطن في بكاء ونحيب مع والدته.  
خرج من الغرفة كالغريق يبحث عن قشه يتعلق بها  
في المحيط.  
تفحص الوجوه، يبحث عن المفقود من العائلة، جرى  
من غرفه إلى أخرى يبحث بين الموجودين.  
سأل هذا وذاك. الجميع يتجاهله ليتحدث مع غيره  
أو يواسيه.  
صرخ في الجالسين: من مات؟ ما لذي يجري لماذا  
لا يقول لي أحد؟  
ورغم هذا لم يرد أحد، فعاد لغرفة والدته.  
التفت لأخته حنان وهي تصلي في الغرفة المجاورة،  
اقترب منها ليسمع دعائها المبلول بالدموع.